



نحن جماعة من طلبة العلم، نسال عن امر عظيم يكثر فيه الجدل عندنا، وهو مسألة من الله عز وجل والعباد بالله وقبل السؤال يطرح عليكم هذه المقدمة:

هذا الحرم العظيم منبر عندنا مكتون عند زمن بعد حيث شد عليه الصغير، وشاد عليه الكبير، وغرم عليه النسخ، ولا من رحم ربي، فعمود الناس إنا ما وقع بينهم شجارا يتسلطون بالغايات فيها ضد كل من فيها ما هو اشد من من الله عز وجل حتى منى هم مواثيق على الصلوة، وإذا سكن منهم الغضب وسئلوا صرحوا بأنهم ينادون على ما قالوا، وأنهم ما كانوا يصعدون من الله عز وجل، ولكم تروننا على هذه الأغايات عند الصغير ندرجو عنكم تفصيلا شافيا عن حكم من الله عز وجل، وعن حكم هؤلاء الناس الذين يقولون: لم تكن تصعد من الله عز وجل، وبارك الله فيكم.

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى اله وصحبه وأحواله الى يوم الدين، أما بعد:

هائلكم شتم وهو كل صبح يستلزم الإهانة ويشمي النفس ومساكنة العرف، مما عدّه أهل العرف شأا واستفاسا أو عينا أو طعنا ويعد ذلك هو من الشتم، وحكم من الله تعالى طوعا من عذر كرم له كافر مرتد فولا واحدا لأهل العلم لا اختلاف فيه سواء كان جازا أو مارحا، وهو من افصح المكفرات القولية التي تكافئ الإيمان، ويكثر طاهرا وماضيا عند أهل الشبهة الغالطين بأن الإيمان قول وعمل، وقد نقل ابن عبد البر المالكي في

«المشهد» عن إسحاق بن راهوية قوله: «قد أجمع العلماء أن من سب الله عز وجل أو سب رسوله أو دعى شيئا أمره الله أو نزل شيئا من أسماء الله، وهو مع ذلك مقرر بما أنزل الله أنه كافر» (١).

وقال القاضي عياض المالكي: «لا خلاف أن سب الله تعالى من أشد المنكرات، وأشد من سب الله تعالى من سب رسوله، وكان ابن خزيمة المصنف العيني: «ومن سب الله تعالى كبر سواء كان صارحا أو جازا» (٢)، وقته عن ابن تيمية قال: «إن من سب الله أو سب رسوله كافر طاهرا وماضيا، وسواء كان الصاب مقتدا أو كاذبا محرما أو كان مستعلا أو كان داهيا عن اعتقاده هذا مدعى الفقهاء وسائر أهل السنة الثلاثين بأن الإنسان قول وعمل» (٣).

ذلك، لأن من سب الله تشبها لله تعالى، واستعاضا واستهانة به سبحانه، واستهانة وتهمنا على رب العالمين، يمتنع من نفس شيطانية معتلة من الغضب، أو من سعيه لا وفار لله عبده فعالة أسوأ من حال الكافر، إذ السب شطرنج للشخص وتفرط في العداوة وسائق في العداوة بينما الكافر يعظم الثوب، ويشهد أن ما هو عليه من الذنوب التاويل ليس استهزاء بالله ولا عينة له، وهو: أيضا، من جهة أخرى أسوأ حالا من المسيهري، لأن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كبر سيئ جولة يعانى ٩، وتكرر سألهم لتقولوا: إنا صفا غرض ونلعب كل آياتهم وتاليفهم، ورسولهم، كثر قسبي، وبس لا تقتربوا فاذ كثرتم عند يسركم إن تعف عن سيئاتكم سيئت طابعهم بأنهم صفا كانوا محرمين (٤)، إن كان الاستهزاء

(١) ٥ نسخة لابن عبد البر (١٣٦/١)

(٢) «شفا» القاضي عياض (١١٩/٢).

(٣) «المصنف» ابن خزيمة (١/١).

(٤) «الصارم السلوك» لابن تيمية (١٠٩).

كفرا هائلكم القصود من باب أولى، والآية دلت على استواء الجذ والتعدي، إظهار كلمة الكفر، وشتم هذا المعنى يقول ابن العربي المالكي: «لا يخلو أن يكون ما قالوه، أي المذاهبون، من ذلك جازا أو جازا، وهو كيمما كان كثر، فإن الهرن بالكفر كثر لا حلف فيه بين الأعداء، فإن التعقيد أحو الحن والتعلم، والهرن أحو التاويل والجهل» (٥).

فالحاصل، أن أصل الدين مبني على تعظيم الله تعالى وإجلاله وتعظيم دمه ورسوله، فإذا كان الاستهزاء شيء من ذلك فافهم هذا الأصل وشافيه، فإن السب يناقضه أشد المناقضات بل يتعمق قدرنا زائلا على الكفر لأن الله تعالى يهى أشد من سبوا الأوثان لتلا بسب المشركين الله تعالى ويهى على شركهم ويكذبهم وعداوتهم لرسوله في قوله تعالى: «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ» (٦)، هتكم أن من سب الله تعالى أعظم من الشرك به وتكذيب رسوله ومعاداة قال ابن تيمية في «الصارم السلوك»: «الآن ترى أن فرنسا كانت تتأذى للمسيح عليه السلام على ما كان مغرور من التوحيد ومعاداة الله وحده، ولا صاوبه على عيب الهمهم والطعن في دسهم وذم آياتهم، وقد يهى الله المسلمين أن يسبوا الأوثان لتلا بسب المشركين الله مع كونهم لم ير الوا على الشرك، فقل أن معدود من الله أعلم من معدود الكفر به» (٧).

هذا والمخلص الوحيد الذي يحمي الله تعالى به الكفر بعد شونه هو توبة الكافر، وذلك برجع الممد إلى الله تعالى، وممارسته لتسبيل القصود عليهم والصالحين والله تعالى يقبل توبة العبد من جميع الذنوب، والشرك هما ذنوب لعونه تعالى: «فَلْيَسْتَجِبْ لِلَّذِينَ آمَنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَئِنْ نَشِئُوا مِنْ رَبِّهِمْ إِنْ لَمْ يَأْتِ

(٥) «الحكام القرآن» لابن العربي (٤٧٧/٤).

(٦) «الصارم السلوك» لابن تيمية (١٠٩).